السيرة النبوية

كما جاءت في الأحاديث الصحيحة

محمد الصوياني

الجزء الثالث

العبيكان
Obeikan

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصوياني، محمد

السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة./ محمد الصوياني.- الرياض، ١٤٢٩هـ.

٤ مج.

٢٩٦ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم.

ردمك: ٤-٥٢٦-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)

٥-٥٢٩-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج٣)

١. السيرة النبوية أ. العنوان

ديوي ٢٣٩ ٣٦٦٨ / ١٤٢٩

رقم الإيداع: ٣٦٦٨ / ١٤٢٩

ردمـــــك: ٤-٥٢٦-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)

٥-٥٢٩-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج٣)

الطبعة الثالثة

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر العبيكان للنشر

الرياض-شارع العليا العام-جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ - ٢٩٣٧٥٨١ / فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص.ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان

الرياض-العليا-تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ - ٤٦٥٤٤٢٤ / فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي» أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

معركة ثانية على أرض بدر

بعد غزوة أحد اغترّ أبو سفيان (قائد قريش) بما حدث، فصاح بالنبي ﷺ متحدياً: (موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا)[1]

كان أبو سفيان ومن معه يريدون أن يملأوا آبار بدر بأجساد المؤمنين، مثلما حشر المؤمنون جثث طواغيت قريش في تلك البئر المنتنة على أرض بدر. حلم لقريش، فهل يتحقّق..؟

كان أبو سفيان يريد استغلال مناسبة إقامة موسم بدر، وهو موسم للعرب يجتمعون فيه تجارةً وأدباً وشعراً، لكن أبا سفيان أراد أن يجعل للحرب نصيباً في هذا الموسم.. حرب تستعيد بها قريش بعض ما تناثر من هيبتها.. حرب يشهدها العرب جميعاً.

فليكن لأبي سفيان ما يريد.. ها هو ﷺ عندما اقترب موعد إقامة سوق بدر يستعدّ للسفر، لا للحرب فقط، بل للحرب والتجارة.. متجاهلاً كل صيحات المخذلين والجبناء في المدينة، الذين يقولون للنبي ﷺ وأصحابه: (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم). فقد ردّ ﷺ على أولئك المخذلين والجبناء بعزم شاركه به أصحابه رضي الله عنهم فقالوا: (حسبنا الله ونعم الوكيل). فامتدح الله هذا الإيمان المتجذّر وهذه الثقة الراسخة بالله، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[2]

فـ (قد كان أبو سفيان قال للنبي ﷺ: موعدك موسم بدر، حيث قتلتم أصحابنا. فأمّا الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أُهبة القتال والتجارة فأتوه)[3].

وصل الشجعان إلى أرض بدرٍ، فرحبت بهم وذكرتهم بنصرهم.. كانت أرض بدرٍ أرضاً للانتصار.. هكذا هي في عقول وقلوب المؤمنين، أمّا بالنسبة لقريش فهي تذكرهم بالهزيمة. لذا لم يستطع أبو سفيان وجيشه مغادرة مكّة، ولا الحركة منها،

---

(١) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن غزوة حمراء الأسد.

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٧٣).

(٣) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن غزوة حمراء الأسد وهذا هو آخر ذلك الحديث.

فالتشاؤم يعيقهم عن الحركة.. يشلّهم عن الوفاء بالوعد والتحدّي. أبو سفيان وكبار القوم خائفون.. يخشون أن تحشر جثثهم في بئر أخرى فلم يحضروا.

وهكذا انتهت غزوة بدر الثانية قبل أن تبدأ، فليس على الساحة سوى المؤمنين.. إنهم يتلفتون فلا يرون أحداً.. يذرعون أرض بدر.. يمشطونها بحثاً عن جيش الوثنيين، فلا يرون أحداً. وهكذا انهزمت قريش في معركة هي التي طلبتها، وحدّدت مكانها وزمانها، أما رسول الله ﷺ وجنده، فقد مالوا بمطاياهم نحو موسم بدر (فأتوه فلم يجدوا به أحداً، وتسوقوا فأنزل الله: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾)[1]، فطلب ﷺ من أصحابه أن يكتبوا هذه الآية وأن يجعلوها بعد الآية السابقة، لتقرأ هكذا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[2].

فتفضّل سبحانه على نبيّه ﷺ وصحابته رضي الله عنهم بانتصار لم ترق فيه قطرة دم، فباعوا واشتروا وكسبوا ودعوا إلى التوحيد، وربما كسبوا أتباعاً ومؤمنين جدداً ينشرون التوحيد في قومهم، أو يهاجرون، ثم عادوا شوقاً إلى أهلهم.. شوقاً إلى المدينة. المدينة التي أصبحت غادة مكتنزة بالجميل والجديد، وأصبح هواؤها صافياً نقياً بعد أن تطهّر من ذلك الوباء الذي لوّث الصحة والعقول، وأنزف الدماء والأموال. المدينة الآن نقية لأنه قد نزل:

تحريم الخمر

الخمر التي تؤرق بعض الصحابة ويحيّرهم أمرها.. كانت تصنع في المدينة من خمسة أطعمة هي (التمر والعسل والبر والشعير والعنب) حيث يقول ابن عمر رضي الله عنه: (نزل تحريم الخمر، وإن في المدينة يومئذٍ لخمسة أشربة)[3] (نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: من العنب، والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير)[4].

---

(١) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن غزوة حمراء الأسد وهذا هو آخر ذلك الحديث.

(٢) سورة آل عمران: (١٧٣ - ١٧٤).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٦١٦).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٦١٩).

وكان نزول تحريمها لأسباب مازالت ممتدة حتى الآن.. ما زالت شنيعة وخطيرة حتى الآن، وما جاء الإسلام إلاّ لتطهير المجتمع من مثل هذه الأسباب التي تهدّد أخوّة الإيمان وودّه ووصاله.

من هذه الأسباب قول أحد الصحابة: (إنما نزل الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار، شربوا، فلما ثمل القوم عبث بعضهم ببعض، فلما أن صحوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه، ورأسه، ولحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان - وكانوا أخوة ليس في قلوبهم ضغائن - والله لو كان بي رؤوفاً رحيماً ما صنع هذا بي.

حتى وقعت الضغائن في قلوبهم، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾)[1]

ويقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (صنع رجل من الأنصار طعاماً فدعانا، فشربنا الخمر قبل أن تحرم، حتى انتشينا، فتفاخرنا، فقالت الأنصار: نحن أفضل. وقالت قريش: نحن أفضل.

فأخذ رجل من الأنصار لحى جزور، فضرب به أنف سعد، ففزره، وكان أنف سعد مفزراً، فنزلت آية الخمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾)[2] عن هذه الخمر.

هل أنتم منتهون عن هذه الخمر التي تعبث بالعقل، وتمحو اللياقة الأدبية. إن في الخمر لذّة لاشكّ في ذلك، ولولا ما فيها من نشوة ما شربها أحد، لكنها تسبّب الصداع والغثيان بعد تلك النشوة، وهي تحيل شاربها إلى إنسان مريض.. وقح يتفوّه بكل بذيئة، ويفشي كل ما ينبغي إخفاؤه من رغبات ونزوات تكدّر النديم والجليس والصاحب

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٠.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ٤ - ١٨٧٦ والبيهقي في السنن (٢٨٥/٨).

والقريب.. الخمر يدمر ذلك التحكم المهذب، الذي يحفظ للإنسان شخصيّته ووقاره واحترامه.. وإنسانيته وكرامته.

بالخمر يتحوّل السكران إلى حيوان يهذر بكل قبيح، وينزو على كل محرم. بالخمر يختلط الخطأ بالصواب، والحلال بالحرام، والأدب باللاأدب، أما

تحريم الميسر

فالميسر وهو (القمار) مرض آخر من أمراض التخلّف واللامسؤولية، فالإنسان الذي يكدّ ويكدح من أجل تحصيل مال، وبعد أن يجمعه يقف على شرفة جبل تطل على بحر، فيرمي كل ما جمعه في سنين في ذلك البحر. الإنسان الذي يفعل ذلك أبسط ما يقال عنه إنه: مجنون. والمجنون لا يُترك ولا يُسمح له أن يؤذي نفسه ولا غيره.

الميسر يدمر الأسر والدول والأخلاق.. الخمر والميسر نوعان من أنواع الجنون، ورسالة الإسلام جاءت لإيقاظ العقول.. توقدها تحضّراً ورقياً وتمدّناً، فكيف تلقى الصحابة هذا الخبر..؟ كيف استقبلته قلوبهم ونفوسهم..؟ كيف استقبله أولئك الذين كانوا لا يصبرون عنها..؟

تعالوا إلى بيت أم سليم وأبي طلحة حيث كان: أبو دجانة، وأبو عبيدة، ومعاذ بن جبل، وسهيل بن بيضاء، وأبي بن كعب في ضيافة أبي طلحة رضي الله عنهم. كانوا ندامى يحتسون أقداحاً من الخمرة، وكان ساقي أولئك الندامى الأخيار ابن أم سليم.. أنس بن مالك الذي يقول: (بينما أنا أدير الكاس على أبي طلحة، وأبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسهيل بن بيضاء، وأبي دجانة، «وأبي بن كعب» حتى مالت رؤوسهم من خليط بسر وتمر، «فإذا مناد ينادي، قال: أخرج فانظر»

فسمعنا منادياً ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت.

«فما قالوا: حتى ننظر ونسأل، فقالوا: يا أنس، اكف ما بقي في إنائك. فوالله ما عادوا فيها»

«فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها. فهرقتها» «يا أنس، قم إلى هذا الجرار فاكسرها. فقمت إلى مهراس لنا فضربته بأسفله حتى تكسرت». فما دخل علينا داخل

ولا خرج منا خارج، حتى أهرقنا الشـــراب، وكســـرنا القلال، وتوضأ بعضنا، واغتسل بعضنا، وأصبنا من طيب أم ســـليم، ثم خرجنا إلى المســـجد، وإذا رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1]، فانتهى الصحابة بعد سماعهم لهذه الآية في مســـجد النبي ﷺ.. رغم إدمان بعضهم لها، والمدمن يحبس في مصح أحياناً كـــي يتخلّص ويعالـــج من إدمانه، لكن إيمان الصحابة وتربيـــة النبي ﷺ لهم كانت من العمق والسموّ والامتداد بحيث يتلاشى أمامها أي إدمان.

تخلّصت المدينة من أمّ الخبائث، وأم الأمراض والمشاكل، لكن ماذا لو استفاد البعض من الخمرة في غير الشرب.. في البيع والشراء مع غير المسلمين.. في العلاج مثلاً..؟

أمـــا العلاج فلا تصلح الخمر أبـــداً لأنها مرض، فالنبي ﷺ يقول: (إنها ليســـت بدواء، ولكنها داء)[2] والطب الحديث يؤيّد ذلك ويحذر منها[3].

أمّـــا عن التجارة بالخمر، فقد جاء تاجر خمر من الصحابة رضي الله عنهم يقال له (كيسان) (كان يتجر في الخمر زمن رسول الله ﷺ، وأنه أقبل من الشام ومعه خمر في الزقاق -يريد بها التجارة- فأتى بها رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني جئتك بشـــراب طيّب. فقال رسول الله ﷺ: يا كيســـان، إنها قد حرمت بعدك، قال: فأبيعها يا رســـول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: إنها قد حرمت، وحرّم ثمنها، فانطلق كيسان إلى الزقـــاق، فأخـــذ بأرجلها ثم هرقها)[4]. ثم قال ﷺ: (إن اللـــه تعالى حرّم الخمر، فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء، فلا يشرب، ولا يبع)[5].

---

(١) البخاري ٢٤٦٤ ومسلم١٩٨٠ ولمالك١٥٤٤ والزوائد لهم واللفظ للبيهقي ٨-٢٨٦.

(٢) حديث صحيح. صحيح الجامع (٤٧٨/١).

(٣) شاهدت مقابلة مع الطبيب الشهير OZ وقد سألته مريضة عن وضع مادة الكحول على الجرح فقال لها: المادة التي لاتضعينها على عينك احذري من وضعها على جرحك، ثم بين أن الكحول يقتل الجراثيم، لكنه يقتل عشرة أضعافها من المضادات الجسدية.

(٤) سنده صحيح رواه أحمد ٤-٣٣٧حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن، عن نافع بن كيسان أن أباه أخبره. نافع صحابي، وسليمان البصري تابعي ثقة التقريب ٢٥٣ وحديث ابن لهيعة صحيح، لأن تلميذه قتيبة ثقة ثبت التقريب ٤٥٤.

(٥) حديث صحيح رواه مسلم ٣ - ١٢٠٥ (باب تحريم بيع الخمر).

وهذا رجل آخر (أهدى لرسول الله ﷺ راوية خمر، فقال له رسول الله ﷺ: هل علمت أن الله قد حرمها؟ قال: لا. فسارَّ[1] إنساناً، فقال له رسول الله ﷺ: هل علم أن الله قد حرمها؟ قال: لا. فقال له رسول الله ﷺ: بم ساررته؟ فقال: أمرته ببيعها، فقال: إن الذي حرّم شربها حرّم بيعها، قال: ففتح المزادة حتى ذهب ما فيها)[2] ثم (سئل ﷺ عن الخمر تتخذ خلاً؟ فقال: لا)[3].

لا، بهذه الكلمة انتهت علاقة الإسلام بالخمر.. قطيعة وحرب لا هوادة فيها ضدها، ليبدأ أولئك المؤمنون بالاستفادة من أوقاتهم التي كانت تسفكها الخمر. انتهت علاقة الإسلام بالخمر، و

انتهت عدة زينب بنت جحش

مرّ على طلاقها من زيد بن ثابت ثلاثة أشهر، أي ثلاث حيضات، والمرأة لابدّ أن تنتظر ثلاث حيضات حتى تتأكّد من خلوّ رحمها من أي علاقة من زوجها الأوّل، وتتأكّد من عدم وجود حمل حتى لا تختلط الأنساب، وتتفشّى الأمراض.

يقول سبحانه: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[4].

وبعد أن مرت تلك الأشهر أمر الله النبي ﷺ بالزواج من زينب رضي الله عنها لسبب واحد ذكره الله في القرآن، ونزل به جبريل عليه الصلاة والسّلام، فما

سبب زواج النبي ﷺ من زينب

كان الناس في ذلك الوقت يعتبرون الابن بالتبنّي كالابن الحقيقي، أي أن الابن بالتبني إذا طلّق زوجته فهي حرام على أبيه والعكس، فأنزل الله نسخ ذلك الشيء وأبطله بتزويج النبي ﷺ من زينب بنت جحش، التي كانت زوجة لابنه بالتبني (زيد بن حارثة)

---

(١) أي كلم رجلاً سراً بينه وبينه دون أن يسمع النبي ﷺ. والراوية هي القربة.
(٢) حديث صحيح رواه مسلم (باب تحريم الخمر).
(٣) حديث صحيح رواه مسلم (باب تحريم تخليل الخمر).
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

أنــزل الله ذلــك الأمر بعد أن كان النبي ﷺ يخشــى كلام الناس حول ذلك، لكن النبي ﷺ لا يســتطيع أن يخفي شــيئاً من الوحي ولا القرآن، فإذا نزل الأمر فما عليه ســوى السمع والطاعة لربّه ســبحانه وتعالى، ولذلك يقول أنس: (جاء زيد بن حارثة، فجعل النبي ﷺ يقول: اتّق الله وأمسك عليك زوجك.

قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه)[1].

زيد يخطب زينب للنبي ﷺ

يقــول أنس بن مالك رضي الله عنه: (لما انقضت عدة زينب قال رســول الله ﷺ لزيد: فاذكرها عليّ.

فانطلق زيد حتى أتاها -وهي تخمر عجينها- قال: فلما رأيتها عظمت في صدري، حتى ما أســتطيع أن أنظر إليها -أن رســول الله ﷺ ذكرها- فولّيتها ظهري، ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب، أرسل رسول الله ﷺ يذكرك؟

قالت: ما أنا بصانعة شــيئاً حتى أوامر ربي. فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن)[2] أي نزل قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾. (وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن)[3] لأنه لا يحتاج إلى ذلك، فقد زوّجها الله إياه من فوق سبع سماوات، فكان ذلك تكريماً لها.. فرحاً لها.. حباً لها.

كانــت رضي الله عنها تبتهــج بذلك (كانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ، تقول: زوجكــنّ أهاليكن، وزوّجني الله تعالى من فوق ســبع ســماوات)[4] وكان في ذلك الزواج تكريم لزيد رضي الله عنه، فقد خصّه الله بذكر اسمه من بين جميع أصحاب النبي ﷺ في القرآن. حقاً لقد كان:

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٧٤٢٠).
(٢) حديث صحيح رواه مسلم (زواج زينب).
(٣) حديث صحيح رواه مسلم (زواج زينب).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٧٤٢٠).

زواج زينب فرحاً وتحولاً

فـــي حياة الصحابة والأمّـــة.. أحداث كثيرة في ذلك الزواج.. آداب وتشـــريعات، ومظاهر سرور صاحبت ذلك الزواج الكريم.

تعالوا نتجوّل في تقاسيم ذلك الفرح المليح.. سنبدأ أولاً بـ:

الوليمة والهدايا والمعجزات

يقول أحد الذين حضروا وشاركوا في تلك الوليمة: (ما رأيت رسول الله ﷺ أولم على امرأة من نســـائه ما أولم على زينب، فإنه ذبح شـــاةً)[1]، (ما أولم رســـول الله ﷺ على امرأة من نسائه أكثر أو أفضل مما أولم على زينب)[2] (أطعمهم خبزاً ولحماً حتى تركوه)[3] شبعاً.

لم يشـــارك أنس بن مالك في الأكل فقط، بل ســـاهم مع أمّه أم ســـليم رضي الله عنها في زيادة مساحات الفرح.

يقول رضي الله عنه: (أن رســـول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار، فخرج الناس وبقي رجال يتحدّثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتّبعته، فجعل يتتبع حُجُرَ نســـائه يسلّم عليهن، ويقلن: يا رســـول الله، كيف وجدت أهلك)[4]. ويحدّثنا أنس عن هدية أمّه فيقول: (فصنعت أمي -أم سليم- حيساً، فجعلته في تور[5] «مـــن حجارة» فقالت: يا أنس، اذهب بهذا إلى رســـول الله ﷺ، فقل: بعثت بهذا إليك أمي، وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منّا قليل يا رسول الله.

فذهبت بها إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إن أمي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منّا قليل يا رســـول الله. فقال: ضعه. ثم قال: اذهـــب، فادع لي فلاناً، وفلاناً، وفلاناً، ومن لقيت «من المسلمين» وسمّى رجالاً، قال: فدعوت من سمّى ومن لقيت.

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم زواج زينب.
(٢) حديث صحيح رواه مسلم زواج زينب.
(٣) حديث صحيح رواه مسلم زواج زينب.
(٤) حديث صحيح رواه مسلم زواج زينب.
(٥) إناء. والحيس تمر وسمن وأقط.

قلت لأنس: عدد كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة، وقال لي رسول الله ﷺ: يا أنس، هات التور «وضع النبي ﷺ يده على الطعام، فدعا فيه، وقال ما شاء الله أن يقول» فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة، فقال رسول الله ﷺ: ليتحلّق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه. فأكلوا حتى شبعوا، فخرجت طائفة، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلّهم، فقال لي: يا أنس ارفع.

فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت؟ وجلس طوائف منهم يتحدّثون في بيت رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ جالس، وزوجته مولية وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله ﷺ «فأطالوا عليه الحديث»، فجعل النبي يستحي منهم أن يقول لهم شيئاً «فأخذ كأنه يتهيأ للقيام، فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام، فلما قام، قام من قام من القوم، فقعد ثلاثة» فخرج رسول الله ﷺ فسلم على نسائه، «فمشى، فمشيت معه حتى بلغ حجرة عائشة، ثم ظنّ أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، فإذا هم جلوس مكانهم، فرجع، فرجعت الثانية، حتى بلغ حجرة عائشة» ثم رجع «فرجعت»، فلما رأوا رسول الله ﷺ قد رجع ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه، فابتدروا الباب، فخرجوا كلّهم، وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر، ودخل وأنا جالس في الحجرة، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتى خرج عليّ، وأنزلت هذه الآية، فخرج رسول الله ﷺ، وقرأهن على الناس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ [1] إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[2] (قال أنس: أنا أحدث الناس عهداً بهذه الآيات، وحجبن نساء النبي ﷺ)[3] بعد هذا الموقف المحرج أمرت نساء النبي ﷺ بالحجاب وكان:

---

(١) أي لا تتطفلوا تترقبون نضج الطعام ثم تعرضون أنفسكم للدخول دون دعوة.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم والزوائد له أيضاً، باب زواج زينب. وأكملت الآية لأن الحديث يقول: إلى آخر الآية بعد كلمة: يؤذي النبي.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم وهو جزء من الحديث السابق.

لنزول الحجاب قصة

فقـد كان عمر بن الخطاب قبل نزول الحجـاب يقترح على النبي ﷺ أن يحجب نسـاءه. (قال عمر بن الخطاب: قلت لرسـول الله ﷺ: لو حجبت عن أمّهات المؤمنين، فإنه يدخل عليك البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب)[1]

وتقول عائشـة رضي الله عنها: (أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفلح فكان عمر يقول للنبي ﷺ احجب نساءك فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل فخرجت سـودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشـاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله آية الحجاب)[2]

وفي حادثة أخرى كرّر عمر بن الخطاب تلك الأمنية، حيث كان رضي الله عنه أجرأ من غيره في البوح بما يضمره ويضمره غيره من إجلال لبيت النبوّة.تقول عائشة: (كنت آكل مع النبي ﷺ حيسـاً في قعب، فمر عمر، فدعاه، فأكل، فأصابت أصبعه إصبعي، فقـال: حس، أو: أوه، لو أطاع فيكن ما رأتكـن عين. فنزل الحجاب)[3] ولكن فيما بعد، فالحجاب لم ينزل بعد هذه الأحداث مباشـرة. تعالوا نسـأل أنس بن مالك: من أعلم النـاس بنزول الحجاب؟ قال رضي الله عنه: (أنا أعلـم الناس بالحجاب، لقد كان أُبيُّ بن كعب يسألني عنه، قال أنس: أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزينب بنت جحش، وكان تزوجها بالمدينة، فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار، فجلس رسـول الله ﷺ، وجلس معه رجال بعدما قام القوم، حتى قام رسـول الله ﷺ، فمشـى، فمشيت معه، حتى بلغ حجرة عائشـة، ثم ظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعـت معه، فإذا هم جلوس مكانهم، فرجـع فرجعـت الثانية حتى بلغ حجرة عائشـة، فرجع فرجعت، فـإذا هم قد قاموا،

---

(١) سنده صحيح رواه ابن جرير ١٠-٣٢٤ حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن حميد عن أنس. حميد تابعي ثقة سـمع من أنس، وابن أبي عدي: محمد بن إبراهيم ثقة - التقريب ٤٦٥ وابن بشـار هو الثقة محمد بن بشار، التقريب ٤٦٩.

(٢) صحيح البخاري ١-٦٧.

(٣) سـنده قوي رواه ابن أبي حاتم ١١-٤٩٠ حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سـفيان عن مسعر عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عن عائشة..

فضرب بيني وبينه بالستر، وأنزل الله آية الحجاب)[1]، وكانت هذه الآية تتحدّث عن زوجات النبي ﷺ فقط، ثم أنزل الله سبحانه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[2].

ففرض الحجاب على المؤمنات جميعاً.

وبينما كانت المدينة تعيش فرحاً وتشريعاً يمنح سلاماً في كل زاوية.. كان هناك خطر ينذر بفاجعة.. كان هناك خطر قادم من مكّة.. يطفح بالغلّ والثأر. أتذكرون ذلك الشبح الذي نهض من بين جثث أحد، ثم توجه نحو مكة نازفاً؟ ها هو يعود، ولكن لوحده هذه المرة، فقد آلمه ما حدث في بدر، وما أصابه في أُحُد.

الشبح يتسلّل لاغتيال النبي ﷺ

أنس بن مالك كما حدّثنا عن الحجاب من قبل يحدّثنا الآن عن قصة هذا القادم، الذي حمله حقده وثأره نحو النبي ﷺ، ليسجل له التاريخ حادثة تهزّ الجزيرة من البحر إلى البحر.

يقول أنس: (كان وهب بن عمير شهد أُحُداً كافراً، فأصابته جراحة، فكان في القتلى، فمرّ به رجل من الأنصار، فعرفه، فوضع سيفه في بطنه حتى خرج من ظهره، ثم تركه، فلما دخل الليل وأصابه البرد لحق بمكة، فبرأ، فاجتمع هو وصفوان بن أمية في الحجر، فقال وهب: لولا عيالي ودين عليّ، لأحببت أن أكون أنا الذي أقتل محمداً، فقال له صفوان: فكيف تصنع؟

فقال: أنا رجل جواد لا ألحق، آتيه فأغترّه، ثم أضربه بالسيف، فألحق بالخيل، ولا يلحقني أحد.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٧٩٢) ومسلم (١٤٢٨) واللفظ له.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٩.

فقال له صفوان: فعيالك مع عيالي، ودينك عليّ، فخرج يشحذ سيفه وسمه، ثم خرج إلى المدينة، لا يريد إلاّ قتل النبي ﷺ، فلما قدم المدينة رآه عمر بن الخطاب، فهاله ذلك، وشقّ عليه، فقال لأصحاب النبي ﷺ: إني رأيت وهباً، فرابني قدومه، وهو رجل غادر، فأطيفوا نبيكم[1].

فأطاف المسلمون بالنبي ﷺ، فجاء وهب، فوقف على النبي ﷺ، فقال: أنعم صباحاً يا محمد. قال ﷺ: قد أبدلنا الله خيراً منها[2]. قال: عهدي بك تتحدّث بها وأنت معجب.

فقال له النبي ﷺ: ما أقدمك؟ قال: جئت أفدي أساراكم.

قال ﷺ: ما بال السيف؟ قال: أما إنّا قد حملناها يوم بدر فلم نفلح ولم ننجح.

قال ﷺ: فما شيء قلت لصفوان في الحجر: لولا عيالي ودين عليّ لكنت أنا الذي أقتل محمّداً بنفسي. فأخبره النبي ﷺ خبره. فقال وهب: هاه.. كيف قلت؟ فأعاد عليه.

قال وهب: قد كنت تخبرنا خبر أهل الأرض، فنكذّبك، فأراك تخبر خبر أهل السماء «أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله». قال: يا رسول الله، أعطني عمامتك، فأعطاه النبي ﷺ عمامته، ثم خرج إلى مكة.

فقال عمر رضي الله عنه: لقد قدم وإنه لأبغض إليّ من الخنزير، ثم رجع وهو أحبّ إليّ من بعض ولدي)[3]

قال عمر ذلك لأنه لا يملك قلبه.. لقد أهداه إلى أحب الخلق إليه، بعد أن أهداه إلى خالقه. قلب عمر ليس ملكاً لعمر، ولذلك أحب وهباً بعد أن كان كالخنزير أمامه.

متى أهدى عمر قلبه

أهدى عمر قلبه عندما كان يمشي مع حبيبه ﷺ يحمله الشوق.. يحمله الحب، فالتفت نحو ذلك الحبيب فباح له بحب عظيم. يحدثنا الصحابي عبد الله بن هشام

---

(١) أي كونوا حوله.

(٢) يعني تحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(٣) سنده قوي وقد مر معنا تحت عنوان: شبح على أرض أحد.

عــن ذلك فيقول: (كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي.

فقال النبي ﷺ: لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنه الآن. والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر)[1].

تنازل عمر عن قلبه وعن نفســه، فتماهى هواه وقلبه بحب الله ورســوله، فعاش عمر مأخوذاً بمراد الله ورسوله ﷺ.

دعوني أحدّثكم عن الحب

دعوني أحدثكم عن رجل كان يدخل البهجة على رســول الله ﷺ.. كان يضحكه. أُتي به إلى النبي ﷺ وهو ســكران، حيث شــرب الخمرة التي لعن شاربها، وعاصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومشتريها، وآكل ثمنها، ومعتصرها، وساقيها، ولعنت هي قبل ذلك.

افتــتن هذا الرجل بحب الخمر قبل تحريمها، فلمــا نزل حكمها حاول تركها فلم يستطع، ونزلت عقوبتها فشرب وسكر فخرج وعوقب، ثم سكر ثانية فعوقب. ورغم أن للخمر ذنبا من الوزن الثقيل والكبير، إلا أن للقلوب والمشــاعر تجاه الله ورســوله عليه الســلام أوزانا أثقل، فقد نال جزاءه ونفذ عليه الســلام حكم الله فيه، لكنه لم يبعده، ولم يهجره، ولم يعبس في وجهه، أو يســبه، ولم يطرده من قلبه، بل أحبه.. أجل أحبه، وحرض على حبه!

ذات يوم أتي به ســكراناً، فطبق الحد عليه، فرآه أحد الصحابة رضي الله عنهم، فغضب من تكراره وقال: (اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به)[2] فالتفت عليه السلام لذلك اللاعن وأنكر عليه، وقال له كلمات تكشف عوالم الحب داخل ذلك الرجل المدمن.

قال عليه الســلام: (لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورســوله)[3] لكن هواه غلبه فهوى، والإســلام لا يلغي نقاط الضعف لدى الإنسان ولا يتجاهلها، لكنه لا

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٦٦٣٢).
(٢) صحيح البخاري (٦٧٨٠).
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٦٧٨٠).

يبالغ في وصفها ووصف المعاناة منها. الإســـلام يقف أمامها ريثما يرفع ذلك المنحدر عنها.. ريثما يضمد جراحه وعواطفه من سنانها، ثم ينفث فيه من جديد حب الانطلاق والتجديد والتشييد.

ذات مرة شـــرب (فقال بعض القوم: أخزاك الله. قال رســـول الله ﷺ: لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان، ولكن قولوا رحمك الله)[1] كان عليه السلام وفياً.. كان حانياً يعرف أن صحابته ليســـوا ملائكة، لذا فهو ينظر إلـــى المناطق الخصبة فيهم.. يمطرها بالحب فتهتز ربيعاً أخاذاً.

لكن ماذا لدى شـــارب الخمر الفقير المعدم هذا من مساحات خصبة حتى يحتفي به عليه السلام؟

كان لديه الحب لله ولرسوله.. حب يشرق في قلبه وينسرب في أعماقه، لذا بادله عليه الســـلام بحب أجمل، فتحول ذلك الصحابي المحب إلى راسم للبسمات على ثغر محمد الجميل، حتى أغرته ابتســـامات نبيه وضحكاته إلى حد تدبير المقالب له، فكان عليه السلام يشرب مقالبه كالماء البارد.

أتحبون أن تعرفوا إحدى مقالبه؟

كان يذهب لدكاكين المدينة، فيستلف منهم الطعام، ثم يأخذه إلى بيت أحب الناس إليـــه.. إلى بيت محمد الذي لم يعنفه يوماً، ولم يكشـــر فـــي وجهه، أو يعيره بذنبه، أو يســـخر منه، فيهديه تلك الهدية، فيقبلها عليه الســـلام منه، وتمر الأيام، فيراه التاجر فيمسك بتلابيبه، ويطلب منه سداد ديونه التي كثرت، فيهون من الأمر، ويأخذه ليسدد له، فيأتي المقلب كما يرويه عمر بن الخطاب الذي يقول أن الرجل: (كان يهدي لرسول الله ﷺ العكة من الســـمن، والعكة من العســـل، فإذا جاء صاحبها يتقاضاه جاء به إلى رسول الله ﷺ فيقول: يا رسول الله أعط هذا ثمن متاعه. فما يزيد رسول الله ﷺ أن يبتسم، ويأمر به فيعطى)[2]

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري ٦-٢٤٨٨ وأحمد ٢-٢٩٩ واللفظ له.

(٢) ســـنده حســـن رواه أبو يعلى ١-١٦١ حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبي حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر. أسلم مخضرم وابنه ثقة وعبد الله وابنه ثقات أما هشام فصدوق له أوهام وهو من رجال مسلم التقريب ٥٧٢.

هذا هو نبينا لمن أرادأن يتأمله ويتأمل جماله وسعة صدره ورفقه وأفقه، فلسنا أحرص على دينه ولا على أمته منه، ولسنا أكثر تأثيراً منه، وليس لدينا مدن ملائكة، وليست مفاتيح الجنة والنار بأيدينا. ما أجمل أن نحب الله ورسوله أكثر من أي شيء وإن كنا مقصرين.. ما أروع أن نرفض الإساءة لهما. ما أجمل أن نكون مثل ذلك الرجل الذي أخرجه قلبه من بيته.. أخرجه حب لم يقو على كتمانه، فحلق به حبه أبعد مما يأمل.. أبعد مما يحلم عندما باح به وقال لنبيه: (متى الساعة؟ قال عليه السلام: وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله. فقال: أنت مع من أحببت. قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: أنت مع من أحببت. قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم)[1]

هذا هو الحب في الله، وهذا هو الحب في الإسلام، وهذه هي الرحمة عند المؤمن الذي يحب الله ورسوله.. هذه هي العلاقة الحقّة بين المؤمنين، فـ:

تعالوا أحدّثكم عن الحب والرحمة

في قصة أشد تأثيراً على النفوس.. قصة قال فيها النبي ﷺ:

يا هزال لو سترته بثوبك

ها هو ابن هزال.. حدثنا يا نعيم ما ذلك الشيء الذي تمنى ﷺ لو ستره والدك بثوبه، أو من هو؟

قال نعيم رضي الله عنه: (كان ماعز بن مالك في حجر أبي، فأصاب جارية من الحي، فقال له أبي: ائت رسول الله ﷺ فأخبره بما صنعت لعله يستغفر لك - وإنما يريد بذلك رجاء أن يكون له مخرج، فأتاه، فقال: يا رسول الله إني زنيت فأقم عليّ كتاب الله «يا رسول الله طهّرني.

فقال: ويحك ارجع، فاستغفر الله وتب إليه.

فرجع غير بعيد ثم جاء، فقال: يا رسول طهّرني.

---

(١) صحيح البخاري ٣-١٣٤٩.

فقال رسول الله ﷺ: ويحك ارجع، فاستغفر الله وتب إليه.

فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله طهّرني.

فقال النبي ﷺ مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ»: إنك قد قلتها أربع مرات، فيمن؟ قال: بفلانة. «فسأل رسول الله ﷺ: أبه جنون؟ فأخبر أنه ليس بمجنون. فقال: أشرب خمراً؟ فقام رجل فاستنكهه[1]، فلم يجد منه ريح خمر».

قال ﷺ: هل ضاجعتها؟ قال: نعم، قال: هل باشرتها؟ قال: نعم. قال: هل جامعتها؟ قال: نعم [قال ﷺ: فهل أحصنت؟[2] قال: نعم] فأمر به أن يرجم، فلما رجم، فوجد مسّ الحجارة جزع، فخرج يشتدّ[3] «واشتددنا خلفه» فلقيه عبد الله بن أنيس وقد أعجز أصحابه، فنزع له بوظيف بعير[4] فرماه به، فقتله، ثم أتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له.

فقال: هلاّ تركتموه، لعله يتوب، فيتوب الله عليه. «فكان الناس فيه فرقتين: قائل يقول: لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئته.

وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز، إنه جاء إلى النبي ﷺ، فوضع يده في يده، ثم قال: اقتلني بالحجارة.

فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس، فسلّم، ثم جلس، فقال: استغفروا لماعز بن مالك، فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك. فقال رسول الله ﷺ: لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم»)[5].

لله حدود يجب تنفيذها دون مجاملة أو مداهنة، وللنبي ﷺ حدود لا يستطيع تجاوزها. فتح ﷺ لماعز أكثر من عشرة أبواب.. أشرعها ليهرب منها، لكنه أصرّ على تنفيذ حدّ الله فيه.

---

(١) أي شمه.

(٢) بالزواج.

(٣) أي أصيب بالفزع وأحس بالألم ركض هارباً.

(٤) عظم الساق أو الذراع.

(٥) سنده صحيح رواه أحمد ٥-٢١٧ وأبو داود ٤٤١٩ من طريق: وكيع حدثنا هشام بن سعد أخبرني يزيد بن نعيم بن هزال عن أبيه. وما بين الأقواس لمسلم، وما بين المعقوفين للبخاري. نعيم صحابي وابنه مقبول والصواب أنه صدوق من رجال مسلم وثقه العجلي. ولا أدري لماذا ضعف الإمام الألباني كلمة لعله أن يتوب، وهي من هذا السند.

فعل ﷺ ما يمكنه أن يفعله لماعز، ثم نفذ حكم الله فيه، لكن مازال في صدر النبي ﷺ لماعز الكثير الكثير.

توجّه ﷺ بحديثه نحو الرجل الذي أشـــار على ماعز بالاعتراف، فهل شكره على فعله ذلك..؟

الإجابـــة رحمةً كالعادة، فما محمد ﷺ إلاّ رحمـــة مهداة. التفت ﷺ بحديثه إلى هـــزال معاتبـــاً، وقال له كلمة كالحزن: (يا هزال لو كنت ســـترته بثوبك كان خيراً مما صنعت به)[1] (لو كنت سترته بثوبك كان خيراً لك)[2]

لم يقل ﷺ: لو ســـترته بثوبك لكان خيراً لماعز رضي الله عنه، بل قال: خيراً لك أنـــت يا هـــزال.. أنت أيها المبلغ، ولك أنت أيضاً أيها المتلذّذ بفضح المســـتترين بدعوى الغضب لله ورسوله.

أمـــا من أراد أن يمنح لنفســـه حق اختـــراق جدران الآخرين وحريتهم المســـتورة، فإن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما يقدمان له درســـاً في التحضر بالإسلام.

يقول (عبد الرحمن بن عوف: أنه حرس ليلة مع عمر بن الخطاب، فبينما هم يمشون، شب لهم سراج في بيت، فانطلقوا يؤمونه، حتى إذا دنوا منه، إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر - وأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف: أتدري بيت من هذا؟ قلت: لا قال: «هذا بيت» ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى؟

قـــال عبد الرحمن بن عـــوف: أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله «عنه قال الله تعالى»: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾. فقد تجسسنا.

فانصرف عنهم عمر وتركهم)[3]

---

(١) سنده صحيح رواه أحمد (٢١٧/٥) وأبو داود (٤٤١٩) وهو الحديث السابق.

(٢) صحيح الجامع الصغير (١٣٢٣/٢).

(٣) سنده صحيح رواه عبد الرزاق ١٠-٢٣١ والبيهقي ٨-٣٣٣ وابن حبان في الثقات ٤-٢٦٧ والحاكم ٤-٤١٩ عن الزهري حدثنا زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف عن المسور بن مخرمة أخبره عبد الرحمن. وزرارة تابعي ثقة، والمسور صحابي.

لكن كم هو حجم ذلك الخير الذي يحصل عليه من ستر على مسلم وحافظ على نقاء صورته أمام المجتمع..؟

قال عليه السلام: (من ستر أخاه المسلم ستره الله في الدنيا والآخرة)[1] ولما (أتي ابـن مسـعود فقيل: هذا فلان تقطر لحيتـه خمراً. فقال عبد اللـه: إنا قد نهينا عن التجسّس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به)[2] لـ (أن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم)[3] والإسلام لا يريد إفسادهم، ولا أذيّتهم.

هذه بعض حقوق الإنسان - أي إنسان - في الإسلام.. دمه، وماله، وعرضه مكفولة الحماية، بل إن الدهشـة لتسـافر بالمرء عندما يعلم فداحة الجرم الذي يرتكبه أولئك السابحون في أعراض إخوانهم.. المنقّبون عن عيوب الناس لينشروها. إليك هذه:

المقارنة بين العرض وغيره

قال ﷺ في قليل الربا: (درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشـدّ عند الله من ستة وثلاثين زنية)[4].

وقال في أقلّ الربا: (أهون الربا كالذي ينكح أمّه)[5].

تـرى ما الذنب الذي يعادل أشـدّ الربا إذا كان أهونه يعادل ذلك الفعل الشـنيع والجريمة القذرة..؟

الإجابة التي تذهل المسـلم هي في قول النبي ﷺ: (أربى الربا شتم الأعراض)[6] (أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه)[7].

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وابن حبان (٥٣٤) واللفظ له.

(٢) حديث صحيح رواه أبو داود (٤٨٩٠) وغيره من طرق عن الأعمش عن زيد بن وهب قال: قيل لابن مسعود. زيد ثقة مخضرم، والحديث صححه الإمام الألباني ١-٢٧٧.

(٣) حديث حسـن رواه أبو داود ٤٨٨٩ وغيره عن إسـماعيل بن عياش وهو صحيح الرواية عن أهل بلده عن ضمضم بن زرعة وهو حمصي حسن الحديث، عن شريح بن عبيد وهو حمصي تابعي ثقة عن صحابيين وهو لم يسمع منهما وعن مخضرمين وتابعي كبير. لكن له شاهد عند البخاري في الأدب (٢٤٨).

(٤) صحيح الجامع (٦٣٦).

(٥) حديث صحيح.. صحيح الجامع (٤٩٦).

(٦) حديث صحيح.. صحيح الجامع (٢١٢).

(٧) حديث صحيح.. صحيح الجامع (٤٩٦).

فلنعد إلى أقدس الأعراض والدماء.. عرض محمد ﷺ ودمه، الذي كان وهب بن عمير قبل قليل يريد نثره على طرقات المدينة، لكنه عاد إلى مكّة بغير القلب الذي جاء به.. عاد إلى مكة يحمل الحب والإيمان وعمامة النبي ﷺ.

عاد وهب مسلماً، لكن فعله قبل أن يسلم أثار لدى النبي ﷺ وأصحابه حالة اليقظة والحذر، فقد يكون هناك أكثر من مشروع لتصفية النبي ﷺ جسدياً. وقد صدق التوقع، وأفاد الحذر، حيث تسرّبت الأخبار إلى النبي ﷺ عن خطر قادم من جهة مكة، لكنه ليس من قريش،

خطر قادم من قبيلة بني المصطلق

وبنو المصطلق قبيلة عربية تسكن قرب مكة، في المنطقة الواقعة ما بين مكة والمدينة، وقد أراد ﷺ استغلال واستثمار الوقت بمفاجأة تلك القبيلة قبل أن تتحرّك ويتكامل استعدادها.. أراد ﷺ أن يباغتها بضربة سريعة تشلّها، لأن أي تأخير قد يضاعف من خطرها، وذلك لقربها من عدو النبي ﷺ الأول «قبيلة قريش».

أي تأخير يعني مزيداً من الأعوان والعتاد والخطر، فمباغتة ذلك الجيش الوثني وهو مسترخٍ على أرضه.. هو أسرع الطرق وأيسرها للقضاء عليه وإراحة المدينة من خطره. فاستعد ﷺ بجيش قوي لـ:

غزو بني المصطلق

وقد انضمّ إلى هذا الجيش مجموعة من المنافقين.. على رأسهم كبير المنافقين عبد الله بن أُبي بن سلول -ربما- لشعوره بقوة جيش النبي ﷺ، وتأكده من هزيمة بني المصطلق.

وقبل أن ينطلق النبي ﷺ بجيشه ذلك أقرع بين سودة وعائشة وأم سلمة، وزينب، لتصحبه إحداهن في رحلته تلك، فالنبي ﷺ (كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه)[1].

---

(١) حديث صحيح رواه الشيخان رحمهما الله وسيأتي بقيته.